

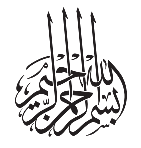
الصبر

تأليف

مسعد حسين محمد




الصبر







الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م

رقم الإيداع

2024/0000

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-000-0





ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣ ٢٠+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٣ ٢٠٣+
E.mail: alamia_misr@hotmail.com





إعداد

فضيلة الشيخ

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي

عضو باتحاد الكتاب المسلمين
ومؤلف برابطة العالم الإسلامي






بسم الله الرحمن الرحيم



المُقَدّمَة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فاعلم - حفظني الله وإياك - أن الصبر من أهم الأخلاق الحميدة، والسلوكيات المجيدة، التى دعا الإسلام إليها، فهو عبادة الضراء، وهو عدة المؤمنين حين نزول البلاء، ولا غنى عنه في هذه الحياة.

وهذا الكتاب [**الصبر**] بينت فيه بفضل الله عَزَّوَجَلَّ معنى الصبر وفضائله، وكذلك ذكرت أقسام الصبر، وذكرت جانبًا من جوانب صبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكرت صورًا عظيمة من صبر الصحابة



والتابعين والصالحين، مع ذكر الأسباب المعينة على الصبر، سائلاً الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم، فهو من وراء القصد وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي

المصري السلفي

زهراء الحدائق - كفر الدوار - البحيرة

معنى الصبر



الصبر: هو حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، **وقيل:** وهو حبس النفس عن الجزع، **أي:** منعها من الاستسلام للجزع، كي لا يترتب عليه فعل ما لا ينبغي فعله، وحبس النفس عن الجزع يمنعها عن محارم الله، بأداء فرائض الله.

وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

وقيل: هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.



وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقيل: هو تجرع المرارة من غير تعبس[١].

من معاني الصبر:

قال الفيروز آبادي: وربما خُولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه[٢].

- فإن كان حبسُ النفس لمصيبة سُمي صبرًا.
- وإن كان في محاربة سُمي شجاعة.
- وإن كان في إمساك الكلام سُمي كتمانًا.
- وإن كان عن فضول عيش سُمي زُهدًا.
- وإن كان عن شهوة الفرج سُمي عفة.
- وإن كان عن شهوة طعام سُمي شرف نفس.
- وإن كان عن إجابة داعي الغضب سُمي حلمًا.

---

(١) «هؤلاء يحبهم الله»: ص: (٦٥ - ٦٦) للمؤلف، ط: دار الكنوز، وط: دار أهل السُنة.

(٢) «بصائر ذوى التمييز» (٣/ ٣٨٣) لفيروز آبادي، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.



فضل الصبر

❁ قَالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

❁ وقَالَ تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

❁ وقَالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

❁ وَقَالَ تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

[الزمر: ١٠]

❁ وقَالَ تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.

[الشورى: ٤٣]



۞ وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ**[(١)] **أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[(٢)].

وعن أبي يحيى صُهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ**

---

(١) **حُجة لك**: أي إذا امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه، وحجة عليك إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه. «دليل الفالحين» (١/ ١٧١)، وهذا ليس خاصا بالقرآن بل يشتمل كل علوم الشريعة فما علمناه إما أن يكون حجة لنا وإما أن يكون حجة علينا، فإن عملنا به فهو حجة لنا وإن لم نعمل به فهو حجة علينا، وهو وبال أي إثم وعقوبة . انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام» (١/ ٤١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٢٣].

ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

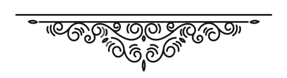
وعن أبي سعيد بن مالك سنان الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٩٩٩].
(٢) صحيح: رواه البخاري [١٤٦٩]، ومسلم [١٠٥٣]، وفي الحديث: الحث على التعفف والقناعة، والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا. انظر: «شرح النووي على مسلم» [٤/ ١٤٥] للإمام النووي، ط: مكتبة الإيمان.



أقسام الصبر



ينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

أولًا: الصبر على طاعة الله:

والصبر على طاعة الله يكون بالصبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ويداوم عليها، فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عمل عملًا أثبته **أي:** داوم عليه. فأداء الطاعات، والمسارعة في الخيرات، والنهوض إلى عمل القربات، يحتاج إلى جهاد نفس طويل: فالنهوض إلى الصلاة عند سماع النداء يحتاج إلى صبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى صبر، ومجاهدة الكافرين والمنافقين والشياطين يحتاج إلى صبر، ومجاهدة النفس وحملها على الطاعة يحتاج إلى صبر.

صبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الطاعة:

كان رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبر الناس على طاعة الله، شأن النهم الذي لا يشبع من العبادة، وإليك طرفًا من صبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طاعة الله.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ»، قَالَ: قِيلَ: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: «هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ»(١).

وقال عبد الله بن الشخير: دخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدته يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء»(٢).

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ

إِذَا انْشَقّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١١٣٥]، ومسلم [٧٧٣]، وأحمد [٣٧٦٦].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود [٩٠٤]، والنسائي [١٢١٤]، وحسنه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم [٢١٧٢٣]، **والمرجل**: هو القدر إذا استجمع غليانًا.

أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا
بِـهِ مُـوقِـنَـاتٌ أَنَّ مـا قَـالَ وَاقِـعُ
يَبِيتُ يُجـافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ
إذا استَثْقَلَت بالمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ صَامَ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَهْرٍ قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ»(١).

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ الشَّدِيدِ الْحَرِّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، «وَمَا فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ»(٢).

يصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيواصل الليل بالنهار ثلاثة أيام وأربعة لا يأكل شيئًا، فيُريد الصحابة أن يواصلوا كما يواصل، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) صحيح: رواه مسلم [١١٦٠]، وأبو داود [٢١١٧]، والترمذي [٧٦٣] وابن ماجه [١٧٠٩].
(٢) صحيح: رواه البخاري [٢٠٨] وابن ماجة [١٦٦٢].

«إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»(١) يُفيض الله عليه من الحكم والمعارف والفتوحات والإلهامات ما يسد مسد الطعام والشراب، فيُعطيه قوة الآكل والشارب، فيقوى على العبادة من غير ضعف في القوة، ولا كلال في الإحساس.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت: «كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يذكر الله تعالى على كل أحيانه»**(٢).

يُــرَادُ مِــنَ الـقَـلْـبِ نِسْيَانُكُمْ
وَتَــأْبَــى الـطِّـبَـاعُ عَـلَـى النَّاقِلِ

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ»(٣).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** ما سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء قط فقال: لا(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٦٤]، مسلم [١١٠٥]، وأبو داود [٢٣٦٠]، والترمذي [٧٧٨]، وأحمد [٦١٢٥].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم،[١٦٩]، وأبو داود [١٥]، وأحمد [٢٦٢٥٤].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٠٤٨]، ومسلم [٧٩٣].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٣٣]، ومسلم [٢٣٠٧].



مَـا قَــالَ: لا، إِلَّا فِي تَشَهُدِهِ
لَوْلا التَّشَّهِدُ كَانَتْ لَاوْهِ نَعَمُ

وعن أبي موسى بن أنس عن أبيه قال: «ما سئل رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا. فإن محمدًا يُعطي عطاء من لا يخشى الفاقة»(١).

صور عظيمة من صور الصبر على الطاعة:

قال الذهبي: قال نافع: كان ابن عمر يُحيى ما بين الظهر إلى العصر(٢).

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**» قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ، أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ، فَقَالَ: «**حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ، أَوْ فَتَرَ قَعَدَ**»(٣).

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم [٢٣١٢].
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٥) للإمام الذهبي، ط: دار الصفا.
(٣) **صحيح:** رواه البخاري [١١٥٠]، ومسلم [٧٨٤].

وقال عروة: «كانت عائشة تسرد الصوم»[١].

وقال حماد بن زيد: «كان سعيد بن المسيب يسرد الصوم»[٢].

وقال عكرمة: «كان أبو هريرة يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يقول: أسبح بقدر ديتي»[٣].

وقال سلمة بن شبيب: «كان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره ليُغسل، فجعل بإصبعيه كذا يُحركها - يعني بالتسبيح»[٤].

وقال الأوزاعي: «كان حسان بن عطية إذا صلى العصر يذكر الله تعالى في المسجد حتى تغيب الشمس»[٥].

تَـارِيخُـنَـا مِـن هَــؤُلاءِ مِـبْـدَاهُ
فَمَا عَـدَاهُ فَلا ذِكْـرٌ وَلَا شَانُ

---

(١) «حُسن الأُسوة» (١/ ٣٣١) لصديق حسن خان، ط: دار ابن خزيمة.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٢) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٣) المصدر السابق: (٣/ ٣٠٧).
(٤) «حلية الأولياء»: (٥/ ٢١٠) لأبي نُعيم، ط: مكتبة السعادة.
(٥) المصدر السابق: (٦/ ٧٠).

ثانيًا: الصبر عن معصية الله:

والصبر عن معصية الله إنما يكون بالصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، والصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عديدة:

✪ **منها:** علمُ العبدِ بقُبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل.

✪ **ومنها:** الحياء من الله سُبْحَانَهُ. فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه ومسمع اسْتَحْيَا من ربه أن يتعرض لمساخطه.

✪ **ومنها:** مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك.

✪ **ومنها:** خوفُ الله وخشيته والخوف من عقابه: وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده والإيمان به و بكتابه وبرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا السبب يُقْوَى بالعلم واليقين، ويضعف بضعفهما. قال تعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

✪ **ومنها:** محبة الله سُبْحَانَهُ: وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه. فإن المحب لمن يحب مطيع.

✪ **ومنها:** شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها، وتسوى بينها وبين السِّفلة.

✪ **ومنها:** قوة العلم بسوء عاقبة المعصية، وقبح أثرها والضرر الناشئ عنها من سواد الوجه، وظلمة القلب، ومرضه الذي استحكم به الموت، فإن الذنوب تُميت القلوب.

✪ **ومنها:** قصر الأمل، وعلمه بسرعة انتقاله، وأنه كمسافر دخل قرية وهو مُزمع الخروج منها(١)، أو كراكب قال(٢) في ظل شجرة ثم سار وتركها.

✪ **ومنها:** مجانية الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس، فإن قوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشأ من هذه الفضلات، فإنها تطلب لها مصرفًا فيضيق عليها المباح فتتعداه إلى الحرام.

---

(١) أزمع الأمر، وعليه: عزم عليه وثبت وجد في مضاته.
(٢) **قال:** من القيلولة: وهي نومة النهار وتكون بعد الظُهر للاستجمام.



ومن أعظم الأشياء ضررًا على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل.

✪ **ومنها:** وهو الجامعة لهذه الأسباب كلها: ثبات شجرة الإيمان في القلب، فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قُوَةِ إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتمّ، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر.

صور عظيمة من صور الصبر عن معصية الله:

أعظم مَنْ يُضرب به المثل في الصبر عن معصية الله هو نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا النبي الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، يوسف بن إسحاق بن يعقوب بن إبراهيم، نبي بن نبي بن نبي بن نبي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢٣].

لله درُّ نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في موقفه مع امرأة العزيز، كان مثالاً للعفَّة؛ فكلُّ الظروف من حوله كانت تدفعُه دفعًا إلى الفاحشة،



فقد كان شابًا عزبًا، وقد كان غريبًا، والغريب لا يستحي من الناس، لأنهم لا يعرفونه، وإنه كان عبدًا لها، والعبد لا يأنفُ مما يأنفُ منه الحُر، وهي سيدتُه، وهي الآمرة، فدافعُ الشهوة أكبرُ حين تكون المرأة طالبة، وهي حسناء جميلة، وقد غاب الرقيبُ، وغلقت الأبواب، وهي تُهدده بالسجن إن لم يفعل، وتكرر التهديدُ منها أكثر من مرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

[يوسف: ٢٤]

فهمُّ امرأة العزيز همٌّ محرم، فإنه همُّ عزم وتصميم، لأنها أخذت بأسباب الفاحشة، بدليل أنها شقت قميصه من دُبر، ومثلُ هذا التصميم على المعصية معصيةٌ يؤاخذ عليها صاحبها، بدليل الحديث الثابت عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، قالوا: يَا رَسُولَ الله، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[1]، فصرح صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن تصميمه وعزمه على قتل صاحبه معصيةٌ أدخله اللهُ بسببها النار.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٨٧٥].



أما همّ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بها فخاطر قلبي صرفه عنه وازع التقوى، خطرت على قلبه الفاحشة فلم يأخذ بالأسباب وصرف الله عنه هذا السوء.

وَمِمَّنْ يُضرب به المثل في الصبر عن معصية الله الرجل الذي خرج مع صاحبيه حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا الله أن تدعُوا الله بصالح أعمالكم.

فتوسل أحدهم ببره لوالديه، والآخر توسل إلى الله بأمانته، وقال الذي توسل إلى الله بعفته وتركه للمعصية: «اللهم إنه كانت لي ابنةُ عم، كانت أحب الناس إلي - وفي رواية: كُنتُ أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فراوتها عن نفسها [1] فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين[2] فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها - وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها، قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا

---

(١) كناية عن الجماع.

(٢) أصابها شيء من الفقر والعوز.



بحقه[1] فانصرفتُ عنها وهي أحبُ الناس إلي وتركتُ الذهب الذي أعطيتُها. اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه»، فانفرجت الصخرة[2]. وخرجوا من الغار سالمين آمنين.

العار في مُدَّةِ الدُنيا وقلَّتها
يَفنى ويبقى الذي في العارِ يُؤذيني
والنارُ لَا تنقضي ما دام بي رَمَقٌ
ولستُ ذا مَيتةٍ منها فتُفنيني
لكن سأصبرُ صبرَ الحُرِّ مُحتسِبًا
لعلَّ ربي من الفردوس يُدنِيني

صورة أخرى عظيمة من صور الصبر عن المعصية:

الربيعُ بن خُثيم: سيد من سادات التابعين، وسيد من سادات أهل العفاف. قال له عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لو رآك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأحبك».

---

(١) لا تفض الخاتم إلا بحقه: الفض: الكسر والفتح، والخاتم كناية عن الفرج وعذرة البكارة، وحقه التزويج المشروع. «دليل الفالحين» (١/ ٨٤).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٢١٥]، ومسلم [٢٧٤٣].



روى أصحابُ السير والتراجم أن قومًا أمروا امرأة ذات جمالٍ بارع أن تتعرض للربيع بن خُثيم لعلها تَفْتِنَهُ، جعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهمٍ.

فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه من الطيب، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة.

فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحُمى بجسمك، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟!

أم كيف بكِ لو قد نزل مَلكُ الموت فقطع منك حَبْلَ الوتين[1]؟! أم كيف بك لو سألك منكرٌ ونكير[2]؟!

فصرخت صرخةً فسقطت مغشيا عليها.

فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها أن كانت يوم ماتت كأنها جذعٌ مُحترقٌ من خشية الله عَزَّوَجَلَّ، وكانت تُلقب بعابدة الكوفة.

---

(١) **الوتين**: عرق في القلب أو متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه.
(٢) «التوابين» ص: [٢٧٣] لابن قدامة، ط. الدار السلفية، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٦١) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.

قال عمر بن عبد العزيز: «أفضل الجهاد جهاد الهوى».

وقال سفيان الثوري: «أشجع الناس أشَدُّهُم من الهوى امتناعا».

وكان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

تفنى اللذاذةُ مِمن نالَ صفوتَها
من الحرام ويَبقى الوِزْرُ والعارُ
تبقى عواقبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا
لا خيرَ فِي لذةٍ من بعدِها النارُ

قال الإمام أحمد بن حنبل: «الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى».

ونفسَكَ أَكْرِمْ عن أُمورٍ كثيرةٍ
فما لكَ نفسٌ بعدَها تستعيرُها
ولا تَقْرَبِ المرعَي الحرامَ فإِنما
حلاوتُهَ تفنى ويَبقى مريرُها

ثالثًا: الصبر على البلاء وعلى أقدار الله المؤلمة:

والصبر على البلاء وعلى أقدار الله المؤلمة إنما يكون بعدم التسخط عليها، وهو ينشأ من أسباب عديدة:



✪ **منها:** شهود جزائها وثوابها، فالله عَزَّوَجَلَّ أعطي الصابرين على البلاء ثوابًا عظيمًا وأجرًا جزيلًا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾.

[البقرة: ١٥٥-١٥٧]

✪ **ومنها:** شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا يَزالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١).

وعن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَاهَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٢).

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي [٢٧١٥]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٨١٥].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري [٣٤٧٧]، ومسلم [١٧٩٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»(١).

✪ **ومنها:** شهود القدر السابق الجاري لها، وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يُخلق فلا بد منها، فجزعه لا يزيده إلا بلاءً.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»(٢).

✪ **ومنها:** شهود حق الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها بالصبر بلا خلاف بين الأئمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.

✪ **ومنها:** شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٥٦٤٥].
(٢) **صحيح:** رواه مسلم [٢٦٥٣].

✪ **ومنها:** أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختاره، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضى له به سيده ومولاه فلينزل إلى مقام الصبر عليها.

✪ **ومنها:** أن يعلم أن هذه المُصيبة هي دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلًا.

✪ **ومنها:** أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم يحصل بدونه، فلينظر إلى عاقبته وحُسن تأثيره. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النِّسَاء: ١٩].

لعل عتبك محمودٌ عواقِبهُ
ورُبما صَحَّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ

✪ **ومنها:** أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حِينئذٍ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟

✪ **ومنها:** أن يعلم أن الله تعالى يبتلى عبده بالسراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال.

✪ **ومنها**: أن يعلم العاقل أن الإنسان ما دام في هذه الدار، فهو معرض للبلايا، والرزايا، والأمراض، والأسقام، وأنه كالهدف الذي يُرمى بالسهام. ولينظر إلى قول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ**﴾ [البلد: ٤].

✪ **ومنها**: أن يعلم العاقل أن الجزع لا يُفيد شيئًا، بل يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه.

إذا بُـلـيـت بـالـكُـرهِ فـكُـن بِـالـصَـبر لَـوَّاذا
وإلا ذهــب الأجْــرُ فــلا هَــذَا ولاَ هــذَا

ومنها: أن يتذكر العاقل المصاب ما ورد في الحديث: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى**»(١).

وإن أموالنا وأولادنا؛ إنما هي عندنا ودائع، ولابد لصاحب الوديعة أن يأخذها من الدهر.

وما المالُ والأهُلون إلا وديعةٌ
ولابـدّ يـومًـا أن يُـرَدّ الـودائِـعُ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٦٥٥]، ومسلم [٩٢٣].

✪ **ومنها:** أن العاقل يتسلى بمصيبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كُلّ مصيبة.

عَرَفْنَا اللّيالي قَبْلَ مَا نَزَلَتْ بِنَا
فَلَما دَهَتْنَا لَمْ تَزِدْنَا بِهَا عِلْمًا

وقال آخر:

اصْبر على مَضَضِ الإدْلاج في السَّحَرِ
وَفِي الرَّوَاحِ إلى الطَّاعاتِ وَالبكَرِ
إِنِّي رَأَيْتُ وفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ
للصبر عاقِبَةٌ مَحْمُودَةُ الأَثَر
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ تَصَّلَبهُ
واستصحب الصَّبْرَ إلَّا فَازَ بالظَّفَرِ

وقال آخر:

والصّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌ مَذَاقَتُهُ
لَكِنْ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ



وقال آخر:

بَنَى اللهُ للأخيارِ بَيْتًا سَمَاؤُهُ
هُمُومٌ وَأَحزانٌ وَجُدْرَانُهُ الضُّرُ
وَأَدْخَلَهُم فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ
وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمُ الصَّبْرُ

جبال الصبر وعلو همتهم عند المصائب:

جعل الله سُبْحَانَهُ الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يهزم، وحصنًا لا يهدم، ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحله من الظفر محل الرأس من الجسد، وللصابرين معية مع الله، ظفروا فيها بخيري الدنيا والآخرة، وفازوا فيها بنعمه الظاهرة والباطنة، ولقد جعل الله سُبْحَانَهُ الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما أخذوا برأس الأمر، صاروا رؤوسًا».



وأخبر سبحانه عن محبته للصابرين بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين، فقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظي بها إلا الصابرون، فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

[المؤمنون: ١١١]

وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي أربابها لا تبور، فقال تعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وكذلك قيل: الصبر من معالم العظمة وشارات الكمال، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها، ولذلك كان «الصبور» من أسماء الله الحسنى، فهو يتمهل ولا يتعجل ويبطئ بالعقاب إن أسرع الناس بالجريمة، ويرسل أقداره لتعمل عملها على الرغبات الفائرة، والمشاعر الثائرة.

والصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة النادرة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله، لم يستأجر له أطفالًا أو مرضى أو خوارين، إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة، والمناكب الشداد، كذلك الحياة، لا ينهض برسالتها الكبرى، ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة، وأبطال صابرون، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئًا لما أوتوا من مواهب، ولما أدوا من أعمال.

وأصبر الناس على الطاعة وعلى البلاء وعن المعاصي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم الأمثل فالأمثل، ولذلك لما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ، فَمَنْ ثَخُنَ دِينُهُ، اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلَاؤُهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي النَّاسِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[١].

فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم الكبيرة يعود إلى طاقتهم في التحمل والثبات.

---

(١) **حسن صحيح**: رواه ابن ماجة [٤٠٢٣]، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: «المشكاة» [١٥٦٢]، و «الصحيحة» [١٤٣].

صبر النبي ﷺ:

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله رضي الله عنه: «**وُلِـدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**» ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ، امْرَأَةِ قَيْنٍ(١) يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ، فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ، قَدِ امْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَمْسَكَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ(٢) بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَاللهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**»(٣).

---

(١) **قين**: حَدَّاد.

(٢) **يكيد بنفسه**: أي يجود بها، ومعناه: وهو في النزع وشدة الاحتضار.

(٣) صحيح رواه البخاري [١٣٠٣]، ومسلم [٢٣١٥].

وقال النووي: قوله: فدمعت عينا رسول الله ﷺ إلى آخره فيه جواز البكاء على المرض والحزن، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر، بل هو رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم الندب والنياحة، =

صبر نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وصف الله تعالى بالصبر خاصة أولياءَهُ وأحبابه، فقال عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]، ثم أثنى عليه فقال: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فكم كان صبره حتى ضرب به المثل، وكم كان أدبه في صبره إذ قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

صبر نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ

= والويل والثبور، ونحو ذلك من القول الباطل، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا**» انظر: شرح النووي على مسلم (٨/ ٦٨)، ط: مكتبة الإيمان.

فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله، فَقُلْتُ: وَالله لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»، فقلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثًا[(١)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣١٥٠]، ومسلم [١٠٦٢].
وفي الحديث: دليل على أن للإمام أن يعطي من يرى في عطيته المصلحة أكثر من غيره، إذا كان في هذا مصلحة للإسلام - وليست مصلحة شخصية يحابي من يحب ويمنع من لا يحب - وزاد في العطاء فإن هذا إليه، وهو مسئول أمام الله، ولا يحل لأحد أن يعترض عليه فإن اعترض عليه فقد ظلم نفسه. انظر: «شرح رياض الصالحين» (١/ ١٤٧) للشيخ العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ، ط: دار البصيرة.

صور من صبر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ



عروة بن الزبير «جبل من جبال الصبر»:

قال ابن القيم: قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشي[1]، وله غديرتان وهو يضرب بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش، فعانه[2]، فخرج من عنده متوسنًا، فوقع في إصطبل الدواب فلم تزل الدواب تطؤه بأرجلها حتى مات، ثم إن الآكلة وقعت في رجل عروة، فبعث إليه الوليد الأطباء، فقالوا له: إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلك. فعزم على قطعها، فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة، فغشي عليه، ثم أفاق والعرق يتحدر على

(١) **ثياب وشي:** أي معلمة ومخططة.

(٢) **فعانه:** أي حسده وأصابه بعينه.

وجهه وهو يهلل ويكبر، فأخذها وجعل يقلبها في يده، ثم قال: «أما والذي حملني عليك، إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام، ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضي الله. ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت في قطيفة، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما قدم من عند الوليد إلى المدينة، تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزونه، فجعل يقول: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، ولم يزد عليه، ثم إنه قال: «إنْ سَلَبْتَ فلطالما أعطَيْتَ، وإنْ أَخَذْتَ فطالما أَبْقَيْتَ، وأَبْقَيْتَ لنا فيكَ الأملَ، يا بَرُّ يا وَصُولُ»[1].

لَعَمْرُكَ مَا مَدَدْتُ كَفِّي لِرِيبَةٍ
وَمَا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي
وَلا دَلَّنِي فِكْرِي لَهَا وَلَا عَقْلِي
وَلا قَادَنِي لَهَا سَمْعِي وَلَا بَصَرِي
وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ
إِلَّا وَقَدْ أَصَابَتْ فَتىً قَبْلِي

---

(١) تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٤٧) للإمام الذهبي، ط: دار الكتاب العربي، وانظر: «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٢٠-٢١) للمزي، ط: مؤسسة الرسالة.

أم سليم «الرميصاء» وعلو همتها في الصبر:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا**» فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعَثَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَمَعَهُ شَيْءٌ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَّكَهُ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ[1].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٤٧٠]، ومسلم [٢١٤٤].
وفي الحديث فوائد منها: دليل على قوة صبر أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه جواز التورية، أي أن يتكلم الإنسان بكلام تخالف نيته ما في ظاهر هذا الكلام، وفيه أنه يستحب التسمية بعبد الله، انظر: «شرح رياض الصالحين» (١/ ١٥٠) لابن عثيمين، ط: دار البصيرة.

وفي رواية للبخاري: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن، يعني: من أولاد عبد الله المولود.

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَا ذَكَرْنَا
لَفضِّلتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَال
وَمَا التَّأْنِيثُ لِإِسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَمَا التَّذْكِيرِ فَخَرٌ لِلْهِلَالِ

امرأة من أهل الجنة:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبرتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا[1].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٥٦٥٢]، ومسلم [٢٥٧٦].



ما يعين على الصبر والرضا في البلاء:

الصبر على البلاء من آكد المنازل في طريق محبة الله للعبد، وهو بضاعة الصديقين، وهو من أعظم الطاعات والقربات التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ، ويحب أهلها، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ ثواب الصبر بغير حساب، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

ودونك أخي الكريم أهم الأسباب التي تعين على الصبر والرضا عند نزول البلاء:

١- ملاحظة حسن الجزاء:

فعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته، يخف حمل البلاء لشهود العوض من الله عَزَّوَجَلَّ. قال الله تَعَالَى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاك لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصابَتْه سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

٢- انتظار روح الفرج:

يعني راحته ونسيمه ولذته، فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة.

وَكَمْ للّه من لُطْفٍ خَفِيّ
يَدقُّ خَفَاهُ عَنْ فَهُم الذَّكِيِّ

٣- تهوين البلية:

بأن يعد الإنسان نعم الله عليه الظاهرة والباطنة وأياديه عنده، فإن عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه - بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرة من بحر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٩٩٩].



٤- النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء:

قالت الخنساء:

وَلَوْلا كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِي
عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلكِنْ
أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُمْ بِالتَّأَسِّي

٥ - فتح باب الدعاء:

فالمصائب تفتح على العبد أبوابًا من العبادات، كالدعاء، والإنابة، والرجاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣].

فيا أخا الإسلام:

دع الأقدارَ تفعلُ ما تشاءُ
وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ القَضاءُ
وَلا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي
فَمَا لِحَوادِثِ الدُّنْيَا بَقاءُ

وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلدًا

وشيمتك السَّماحَةُ وَالوفَاءُ

ثمار الصبر:

للصبر ثمرات مُحققة وعظيمة ومن جملة هذه الثمرات:

١- نيل الأجر بلا حدود:

قَالَ تعَالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

قال سليمان بن القاسم: كل عمل يُعرف ثوابه إلا الصبر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] قال: «كالماء المنهمر».

٢- نيل معية الله تعالى:

قَالَ تعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والمعية على قسمين:

- **معية عامة:** وهي المعية بالعلم والقدرة، وهذه عامة في حق كل أحد.

• **ومعية خاصة:** وهي المعية بالعون والنصرة، وهذه خاصة بالصابرين ونحوهم كالمحسنين والمتقين والمتوكلين والمقسطين وغيرهم.

٣- نيل إمامة الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾.

[الأعراف: ١٣٧]

قال تعالى: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

[المؤمنون: ١١١]

٤- نيل صلوات الله تعالى ورحمته وهدايته:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

[البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]



٥- سبيل النصر على الأعداء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾.

[الأنفال: ٦٥]

٦- تكفير السيئات:

فعن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ مِنْ خَطَايَاهُ**»(١).

٧- طريق إلى الجنة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

[الفرقان: ٧٥]

(١) صحيح: رواه البخاري [٣٤٧٧]، ومسلم [١٧٩٢].



الفهرس



الموضوع الصفحة

